صورة المعلم في ديوان البيان
للدكتور الشاعر محمد مصطفى صوفية

كتبه
د.عبد الستار العريفي سالم بشّيّه
قسم اللغة العربية - كليه الآداب - طرابلس

الحمد لله رب العالمين علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على سيدنا محمد معلم البشرية ومنقدها من غياهب ظلمات الجهل، والرضا عن أصحابه الهداة المهديين الذي قال فيهم أصحابي كالنجوم، ومن سار على نهجهم في العلم والعمل إلى يوم الدين.

إن مهنة المعلم المربي لهي من أشرف المهن في الحياة الإنسانية لما لها من قيمة في تهذيب سلوكه البشري كنقل تجارب بني البشر بين بعضهم بعضا وللتربويين في هذا المجال كلام كثير.

وربما نستعرض هنا لبعض ماورد في العلم والتعلم في القرآن والسنة فمن أهم ماورد من نصوص القرآن، فاتحة الوحي بقوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، [1]، وقوله تعالى:﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[3]، وكان نتيجة العلم خشية الله فقال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[4]، ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾.

---

(1) العلق: 1-5.
(2) المجادلة: 11.
(3) آل عمران: 7.
(4) فاطر: 28.

وقد حث النبي ﷺ على طلب العلم وحضور مجالسه، فقال: ((الْعِلْمُ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ))[1]، وقال ﷺ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ))[2]، وجعل طالب العلم بمثابة المجاهد في سبيل الله فقال ﷺ: ((مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فهو في سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ))[3]، وقال ﷺ: ((اغْدُ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا، أَوْ مُسْتَمِعًا، أَوْ مُحِبًّا، وَلاَتَكُنْ الْخَامِسَةَ فَتَهْلَكَ))[4]؛ أي: جاهلا، وقال: ((طَلَبُ الْعِلْمِ سَاعَةً خَيرٌ مِنْ قِيامِ لَيلَةٍ، وَطَلَبُ الْعِلْمِ يَومًا خَيرٌ مِنْ صِيَامِ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ))[5]،وغيرها من الأحاديث الدالة على مكانة العلم والمتعلم والعلماء وتفضيلهم عن سواهم من البشر.

ولو تقصينا ما لهذه المهنة في إيثارة مشاعر وأحاسيس شعراء العربية منذ القدم لوجدناها تؤلف ديوانا كبيرا يضم فيه دور المعلمين وأطوار ارتقاء الطرق التعليمية واساليبها، وأفكار المنظرين لها، وهذا أبو الأسود الدؤلي يعطي لنا خلاصة وافيه للمعلم وإخلاصه وجمعه بين العلم والعمل فقال:[6]

يَاأَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيرَهُ هَلاَّ لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ ؟

(1) سنن ابن ماجه، باب فضل العلماء والحث على العلم، الحديث، رقم: 223، 213/1.

(2) سنن ابن ماجة، باب فضل العلماء والحث على العلم، الحديث، رقم: 224، 215/1.

(3) الحديث رقم 205، 117/1، جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر القرطبي.

(4) الحديث رقم: 105، 71/1، المصدر السابق.

(5) الحديث رقم: 7511، 202/2، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، السيوطي.

(6) جواهر الأدب، السيد أحمد الهاشمي، 425/2.

تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السِّقَامِ وَذِي الضَّنَىٰ كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
وَنَرَاكَ تُصْلِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا أَبَداً وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ
لاَتَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهِهَا عَنْ غَيِّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ مِنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا وَعَظْتَ وَيُقْتَدَىٰ بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

وقد اهتم الخلفاء والأمراء بتربية أبنائهم وتعليمهم فبرزت ظاهرة المؤدبين بداية من العصر الأموي، وتطورت هذه العملية إلىٰ أن فتحت الكتاتيب والمدارس، ولكل طور من أطوار هذه المراحل أساليب خاصة وقوانين تحكمها.

أما المعلمون في العصر الحديث فهم مختلفون بعض الشيء عن المعلمين الأوائل، وهم ينقسمون إلىٰ فريقين، الأول منهما فريق تقليدي وهو الذي مازال موجود في مدارس تحفيظ القرآن الكريم ويشتغلون بالمتون العلمية، ونظام الحلق وهم أوثق تعليما وغزارة علم، والثاني نظامي وهو ما يقوم بالتدريس في المدارس النظامية التابعة لوزارات التعليم والتربية بفرعيها الخاص والعام وفي مراحله من التعليم الأساسي حتىٰ مراحل التعليم العالي من ماجستير ودكتوراه، ويقع في النظامي نوعان إما أن يكون مدرسا مقلدا يتابع السابقين في الأساليب وتكرار المعلومات، وقد يكون مجددا يستخدم الأساليب البحثية الجديدة والمتطورة في الأداء مع جودة وإتقان.

ويقف الشعراء وقفة الإجلال والتقدير لمن علموهم وقاموا بتربيتهم، بل قدم بعضهم معلمه عن والده فقال:[1]

أُقَدِّمُ أُسْتَاذِيَ عَلَىٰ نَفْسِ وَالِدِي وَإِنْ نَالَنِي مِنْ وَالِدِي الْفَضْلُ وَالشرَفْ
فَذَاكَ مُرَبِّي الرُّوحِ والرُّوحُ جَوْهَرٌ وَهَذَا مُرَبِّي الْجِسْمِ وَالْجِسْمُ كَالصَّدَفْ

(1) مجاني الأدب في حدائق العرب، 21/1، رزق الله شيخو.

ولعل من أشهر القصائد التي ذاعت في الأوساط الخاصة والعامة لحسن مطلعها قصيدة أحمد شوقي التي قال فيها: [1]

قُـــمْ لِلْمُعَلِّـــمِ وَفِّـــهِ التَّبْجِـــيلَا كَـــادَ الْمُعَلِّـــمُ أَنْ يَكُـــونَ رَسُـــولَا

ومما نتيبن منه موقف الشعراء من المعلمين تلك القصائد المنثورة في دواوينهم في بيان صفاتهم واخلاقهم بل ذكروا نوادراهم في المجاميع،وخاصة ما وقع من معلمي الصبيان، ومؤدبي أبناء الخلفاء، ومن ذلك أيضا رثاء شيوخهم ومعلميهم من علماء أجلاء قضوا حياتهم للتعليم ووهبوها لتلاميذهم يرفعون في كل يوم صرحا أو يضعون حجر أساس لعالم في تخصصات متنوعة.

وشاعرنا لم يكن غافلا عن دور معلميه وشيوخه الذين تربىٰ في أحضانهم، وشرب من ينابيع علومهم نهلا وعلا، فمن تحية لزميل أو رثاء لشيخ، أو تحية عامة يبديها ويفصح عنها لهم في عيدهم، وفي هذا دلالة واضحة علىٰ تواصل الأجيال وصلات التراحم بينهم، وقد نبه الشاعر في مقدمته لديوانه البيان من أن بعض قصائده جاءت تحوي أفكارا عامة ليكون أثرها أنفع في التربية ولأن الأدب الرفيع غالبا ما يعنىٰ بقضايا الإنسان دونما تخصيص أفراد فقال مثلا عن قصيدة رثاء فقيد العلم بأن: ((مناسبتها كانت محددة، ولكن أفكارها ومعانيها صالحة لرثاء علماء كثيرين جمعتهم حياة علمية، وباعث، وغاية))[2]

وقد بين الشاعر في مقدمته معاناة التجربة الشخصية في التعليم وولوجه هذه المهنة التي يفتخر بها، عند حديثه عن اختلاف نسبة النتاج الشعري من سنة إلىٰ أخرىٰ، فقال: وسبب ذلك هو الانشغال بالعمل العلمي التدريسي، والمهام العلمية الأخرىٰ المنوطة بالأستاذ الجامعي.[3]

(1) ديوان شوقي، 497/1.

(2) ديوان البيان، د.محمد مصطفىٰ بن صوفية، ص20.

(3) انظر: الديوان ص19.

لقد تنوع ذكر المعلم في شعر الدكتور صوفية فمن المعلمة الأولىٰ في مدرسة الحياة والدته، إلىٰ والده في القرآن ثم إلىٰ شيوخ العلم وغيرهم، وننظر إلىٰ الأمهات المربيات الفاضلات ودورهن الكبير في التربية والتعليم الذي لايخفىٰ علىٰ أعين الناظرين فالأم كما هو معلوم المدرسة الأولىٰ التي ينشأ فيها الطفل، وكم من أمهات فاضلات خرجن العلماء والفقهاء بدورهن ورعايتهن لأولادهن، وهذا يذكرنا بقول الشاعر: [1]

الأُمُّ مَدْرَسَـــــةٌ إِذَا أَعْـــــدَدْتَهَا أَعْــدَدْتَ شَــعْبًا طَيِّــبَ الأَعْــرَاقِ
الأُمُّ أُسْــتَاذُ الأَسَــاتِذَةِ الْأُلَــىٰ شَــغَلَتْ مَــآثِرُهُمْ مَــدَىٰ الآفَــاقِ

ومما قاله في والدته قصيدة بعنوان (أمي) راثيا لها وإن بعض ما قاله فيها مما يتربىٰ عليه الابن من مدرسة الحياة كتعلم الصبر والصدق والأمانة وحب الخير وغيرها من الأخلاق الحميدة فمنها قوله: [2]

وَمَنْ لِي بِقَلْبٍ عِشْتُ دَهْرًا بِدِفْئِهِ أَرُوْحُ وَأَغْـدُو لَا أَرَىٰ الْعَـيْشَ أَنْكَـدَا
رَحِيمٌ عَطُوفٌ يَعْشَقُ الحُبَّ مَذْهَبَا يَـرَىٰ حُبَّـهُ لِلْخَيْـرِ فَرْضًـا مُؤَكَّـدَا

وفيها يذكر بعض ما تعلم منها تصريحا: [3]

تَعَلَّمْتُ مِنْكِ الحُبَّ وَالْحِلْمَ وَالرِّضَىٰ تَعَلَّمْـتُ مِنْـكِ الصَّـبْرَ وَالْعَفْـوَ مَـا بَـدَا
مِنَ الدَّهْرِ خَطْبٌ أَوْ هُمُومٌ تَكَاثَرَتْ فَكُنْـتِ لِـيَ النِّبْـرَاسَ أَهْـدَىٰ وَأَرْشَـدَا

كما أن للوالدة دور في تربية الأبناء، فإنه علىٰ الوالد مثل ذلك في التربية والتعليم والتنشئة، وفي قصيدته (أبي) إذ الأب هو المعلم الأول الذي يحدو الطفل حدوه حتىٰ قيل قديما: [1]

(1) الديوان: 282/1.
(2) الديوان: ص154.
(3) الديوان: ص155.

بِأَبِهِ اقْتَدَىٰ عَدِيٌّ فِي الْكَرَمْ وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ

والطفل يقلد أباه في حياته وتصرفاته عاداته الحسنة والسيئة فقد ذكر لنا الشاعر دور أبيه في تربيته، والقيام بتعليمه، فمن تحفيظه للقرآن إلىٰ تربيته علىٰ أصول الدين كقيام الليل وتلاوة القرآن فقال في أبياته الأولىٰ منها: (2)

حَمَلْتَ كِتَابَ اللهِ أَعْظَمَ مِنَّةٍ فَلَقَّنْتَنِيهِ فِي سِنِي الْبَوَاكِرِ
وَكُنْتَ بِهِ دَومًا وَلُوعًا وَتَالِيًا لِآيَاتِهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ غَيْرَ فَاتِرِ
فَكَمْ لَيْلَةً قَدْ بِتُّ أُحْيِي سَوَادَهَا إِلَىٰ صُبْحِهَا أَتْلُو وَأَنْتَ مُجَاوِرِي
وَكَمْ مِنْ ضُحًى وَالخَطُّ بَينَ أَنَامِلِي أَخَطُّ وَمَا تُمْلِيهِ يَمْلَؤُ خَاطِرِي

ومما تناولهما بالذكر في قصيدته من وحي المسجد من قام بتحفيظه القرآن كما عرج في قصيدته للحديث عن دور المسجد مدرسة يأوي إليه طلاب العلم فقال: (3)

أَعْظِمْ بِهِ مِنْ مَسْجِدٍ يَعْلُو بِهِ صَوتُ الْمُؤَذِّنِ إِنَّهُ أَحْلَىٰ نِدَا
يُتْلَىٰ بِهِ الذِّكْرُ الْحَكِيمِ وَتَلْتَقِي فِيْهِ النَفُوْسُ لِتَجْتَلِي عَنْهَا الصَّدَا
فِي سَوْحِهِ قَدْ كُنْتُ طِفْلًا يَافِعًا أَتَعَلَّمُ القُرْآنَ، لا عَدِمَتْ يَدَا
مَنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ وَمَنْ أَضْحَىٰ عَلَىٰ نَهْجِ المُعَلِّمِ لِلرِّسَالَةِ أَحْمَدَا
جَدِّي الْمُعَلِّمُ وَالْحُسَينُ كِلاَهُمَا قَدْ كَانَ نِبْرَاسًا وَقَدْ صَنَعَا يَدَا

ويبين في قصيدته هذه فضل المعلم الأول معلم البشرية ﷺ فقال: (4)

مَنْ جَاءَ يَدْعُو لِلرَّشَادِ وَنَهْجِهِ شَرَعُ السَّمَاءِ نِهَايَةً وَمُبْتَدَا
كَانَ المُعَلِّمَ وَالْمُبَينَ رَسَالَةً كَمُلَتْ بِمَا جَاءَتْ سُبُلَ الْهُدَىٰ

(1) أوضح المسالك إلىٰ ألفية ابن مالك، لابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،32/1.
(2) الديوان: ص152.
(3) الديوان: ص51.
(4) الديوان: ص 52.

ثم ينتقل إلى بيان شيوخه في القرآن من بعد جده ووالده، فمن ذلك قوله يرثي شيخه مخزوم الشحومي – عليهم الله أجمعين- مبينا فيها قيمته العلمية:[1]

قَضَـيْتَ بِهَـا مِـنَ الأَعْـوَامِ عُمْـرًا فَتَـــىً عِلْـــمٍ وَأُسْـــتَاذَ الثِّقَـــاةِ
تَحُـلُّ عَـوْيصَ مُشْـكِلَهِ بِصَـبْرٍ تَنُـــوءُ بِـــهِ عَظِـــيْمَ الرَّاسِـــيَاتِ
وَتَمْحِـيصُ الْمَشَـاكِلِ كَـانَ دَوْمًـا طَرِيقُـــكَ رُدْتَـــهُ بِخُطَـــىً الثَّبَـــاتِ

إلـى أن قـال مبينـا دور شـيخه مخـزوم فـي نشـر القـرآن وتحفيظـه لأجيـال متعددة:[2]

نَشَـرْتَ الْعِلْـمَ جِـيلًا بَعْـدَ جِيـلٍ غَـــدَتْ أَفْوَاجُـــهُ مُتَتَالِيـــاتِ
لِتَنْهَـلَ مِـنْ مَعِـينِ الْعِلْـمِ صِـرْفًا وَتُنْـــذِرَ قَوْمَهَـــا مُتَفَقِّهَـــاتِ
فَـإِنْ تَكُـنِ الْحَيَـاةُ حَيَـاةَ عِلْـمٍ فَأَنْـتَ الْفَحْـلُ مَـا بَـيْنَ السُّـرَاةِ
و إِنْ تَكُـنِ الْحَيَـاةُ حَيَـاةَ قَـوْمٍ فَسَـهْمُكَ صَـائِبٌ بَـينَ الرُّمَـاةِ

وفي قصيدته المعلم التي أشاد فيها بدور المعلم برغم ما يقع على المعلم من إجهاض لحقوقه وهضم وتعسف مقصود في بلاد العرب وليبيا على وجه الخصوص دون العالم المتحضر الذي يعطي المعلم حقوقه كاملة وافية، ومناسبة القصيدة تكريم المعلم بنقابات المعلمين، وقد بين فيها قدر المعلم ومكانته عند الأمم السابقة من يونان وغيرهم، فقال فيها:[3]

أَيُّ شَـــيْءٍ يَرْتَقِـــي بِـــالْهِمَمِ غَيْـــرَ تَكْـــرِيمِ رِجَـــالِ الْقَلَـــمِ
قَسَـــمُ اللهِ بِـــهِ فِـــي وِحْيِـــهِ شَـــرَفٌ لِمِهْنَـــةِ الْمُعَلِّـــمِ
فَهْـــوَ لِلنَّـــاسِ رَسُـــولٌ وَهُـــدَىٰ وَهْـــوَ مِصْـــبَاحُ اللَّيَـــالِي الظُّلَـــمِ

(1) الديوان: ص30.
(2) الديوان: ص30.
(3) الديوان: ص66.

وَارِثُ الـوَحَي فَـلَا تَعْجَـبْ لِمَـنْ نَـــدَرَ الْعُمْـــرَ لِهَـــدْي الأُمَـــمِ
فَسَـــلِ التَّـــارِيخَ تَعْـــرِفْ قَـــدْرَهُ قَـــدْ سَـــمَا مِثْـــلَ سُـــمُوِّ الْعَلَـــمِ

ثم أشار لعلوم الشرع مقتبسا آية من سورة العلق فقال:

أَثَـــرُ الْعِلْـــمِ تَجَلَّـــى آيَـــةً لاَيَراهَـــا مَـــنْ لَـــهُ قَلْـــبٌ عَـــمِ
أَعْظَـمُ الْعِلْـمِ، وَأَقْصَـى غَايَـةً مَـــا حَـــوَاهُ وَحْـــيُ رَبِّ الْقَلَـــمِ
مِـــنَنٌ تَكَـــاثَرَتْ أَعْظِـــمْ بِهَـــا (عَلَّـــمَ الإِنْسَـــانَ مَـــا لَـــمْ يَعْلَـــمِ)

ثم وجه رسالة للمعلمين لتجديد العزم وتشميرهم لساعد الجد فهو أسباب النهوض بالأمم، وهم سبب نجاحها فقال:[1]

يَارِجَـالَ الْعِلْـمِ فِـي كُـلِّ الـدُّنَى جَـــدِّدَوا الْعَـــزْمَ لِخَيْـــرِ الأُمَـــمِ
أَنْـــتُمُ البَـــانُونَ لِلْمَجْـــدِ ذُرَى أَنْـــتُمُ الْقَـــادَةُ أَهْـــلُ الْقِمَـــمِ
هَـــذِهِ مِهْنَـــتُكُمْ رُسُـــلَ الْحَيَـــاةِ هَـــلْ وَعَيْـــتُمْ مَـــا وَعَـــاهُ قَلَمِـــي

ومما جادت به قريحته في مناجاة ذكريات علمية مع الدكتور عبد السلام أبو ناجي فمن ذلك اللقاءات التي جمعت بينهما من مراحل الطلب العلمي في حفظ القرآن حتى بلغا غاية عالية من الدرجة العلمية الدكتوراه وفيها تحدث عن دوره في الحياة التعليمة مع زميله فقال:[2]

بُحُـــورَ الْعِلْـــمِ خُضْـــنَاهَا سَـــــــقَيْنَاهَا لِأَفْـــــــوَاجِ
فُرَاتًـــا سَـــائِغًا عَـــذْبًا يُحَـــاكِي وَبْـــلَ ثَجَّـــاجِ
فَكَـــمْ مِـــنْ مَعْهِـــدِ لِلْعِلْـــ ـــمِ أَوْ سُـــؤَالٍ لِمُحْتَـــاجِ
أَنَرْنَـــا دَرْبَـــهُ يَومًـــا لِطَـــرْدِ الْحَالِـــكِ الـــدَّاجِي
بِـــأَقْلَامٍ وَإِحْكَـــامٍ لِأَقْـــوَالٍ وِمِنْهَـــاجِ

(1) الديوان: الصفحة نفسها.
(2) الديوان: ص125.

ثم قال:

عَـــــــدَدْنَاهَا أَيَادِينَـــــــا بَـــــلَا مَـــــنٍّ وَإِزْعَـــــاجِ
وَلَكِـــــنْ نِعْمَـــــةٌ جَلَّـــــتْ حَـــــدِيُثَ الشَّـــــاكِرِ الرَّاجِـــــي

ومما خص به المعلم قصيدة في خمس وثلاثين بيتا عنونها بـ(المعلم والجائز) خاطب فيها المعلم ومكانته في المجتمع وان لايثير للهدايا أو الجوائز أو شهادات التقدير والتكريم قدرا لأنها لاتعادل وتساوي ما يقدمه المعلم من جهد وعليه احتساب الأجر عند الله، وللقصيدة قصة أن المكرمين من المعلمين قد أهدت إليهم نقابة المعلمين أطقم من أواني الطبخ قدور مختلفة الأحجام، ورأى شاعرنا في مثل هذه الهدية إهانة بالغة في حق المعلم، فعبر عن ذلك بقوله:[1]

يَارَسُـــولَ الْعِلْـــمِ بُشْـــرَىٰ لَـــكَ عِنْـــدَ اللهِ ذُخْـــرَا
يَـــاتَعِيسَ الْحَـــظِّ دُنْيَـــا وَسَـــعِيدَ الْحَـــالِ أُخْـــرَىٰ
عِـــشْ كَرِيْمًـــا عِـــشْ عَزِيـــزًا أَنْـــتَ أَعْلَـــىٰ النَّـــاسِ قَـــدْرَا
تَبْعَـــثُ النُّـــوْرَ وَتُحْيِـــي غَـــابِرَ الْأَزْمَـــانِ ذِكْـــرَا
وَتُنِيْـــرُ الـــدَّرْبَ إِذَا مَـــا يَعْـــدِمُ السَّـــارُونَ خُبْـــرَا
جَهِلُـــوا قَـــدْرَكَ لَمَّـــا مَنَحُـــوكَ اليَـــومَ قِـــدْرَا
مُضْـــحِكٌ شَـــرُّ الْبَلَايَـــا وَبِأَهْـــلِ الْعِلْـــمِ أَزْرَىٰ

ثم تحدث عن تلك القدور وكيف خطرت علىٰ فكر ذلك النقيب، وعم فيها اللون التهكمي، وأنها هدية لاتليق بان تهدىٰ للمعلم في عيده مبينا قدر المعلم متمنيا علىٰ النقيب وجماعته معرفتهم قيمة المعلم والعلم، فقال: [2]

لَيْـــتَهُمْ إِذْ كَرَّمُـــوكَ عَرَفُـــوا لِلْعِلْـــمِ قَـــدْرَا

(1) الديوان: ص156.
(2) الديوان: ص157.

رَفَعُـــوكَ فِـــي قُلُـــوبٍ لَا تَـــــرَىٰ إِلَّاكَ امْـــــرَا
شَـــأْنُكَ الْعَـــالِي عَظِـــيمٌ فَاتَّخِـــذْهُ لَـــكَ ذُخْـــرَا
وَتَرَفَّـــعْ عَـــنْ عَطَايَـــا وَهَـــدَايَا وَتَبَـــرَّا
زَانَـــكَ اللهُ لِبَاسًـــا كَـــانَ تَقْـــوَىٰ كَـــانَ خَيْـــرَا
فَاهْنَـــأِ الـــنَّفْسَ وَعِـــدْهَا إِنَّ لِلصَّـــابِرِ أَجْـــرَا

ثم بعد هذا الخطاب خاطبه بصفة أخرىٰ فشاعرنا معلم وشجون المعلم من شجونه، وآلام المعلم من ألامه، فقال:[1]

يَـــارَفِيقَ الـــدَّرْبِ حَلِّـــقْ فِـــي سَـــمَاءِ الْمَجْـــدِ فَخْـــرًا
أَنْـــتَ لِلْعِلْـــمِ رَسُـــولٌ جِئْـــتَ نِبْرَاسًـــا وَبُشْـــرَىٰ
أَنْـــتَ لِلْخَيْـــرِ دَلِيـــلٌ مُرْشِـــدٌ مَـــنْ كَـــانَ حَيْـــرَا
فَـــابْنِ لِلْعِلْـــمِ فَخَـــارًا أَحْـــيِ مِنْـــهُ مَـــا تَهَـــرَّىٰ
وَابْـــنِ لِلْأَوْطَـــانِ صَـــرْحًا عَالِيًـــا وَمُشْـــمَخِرًّا

ثم أوصاه بوصايا رائعة ذات معان إنسانية، وقيم ووطنية منها قوله:[2]

أَوْقِـــدِ الْمِصْـــبَاحَ وَارْفَـــعْ شَـــأَنَ شَـــعْبٌ بِـــكَ حُـــرَّا
فَبِـــكَ الْإِنْسَـــانُ يَسْـــمُو وَبِـــكَ الْأَدْوَاءُ تَبْـــرَا
وَبِـــكَ الْأَيَّـــامُ تَحْلُـــو لَـــمْ يَعُـــدْ طَعْمُهَـــا مُـــرَّا
وَبِـــكَ الـــدُّنْيَا ضِـــيَاءُ كَاشِـــفًا جَهْـــرًا وَسِـــرَّا
مَـــنْ لَـــهُ تِلْـــكَ الْمَزَايَـــا فَهْـــوَ بِـــالتَّكْرِيمِ أَحْـــرَىٰ
كَرِّمُـــوهُ شَـــرِّفُوهُ جَـــاءَ لِلْأُمَّـــةِ حَبْـــرَا

(1) الديوان: ص157.
(2) الديوان: ص157.

تلك هي الصفات الرائعة والندية التي خص بها شاعرنا المعلم المخلص في عمله المؤدي أمانته علىٰ أتم واجب، وأشاد بها في المحافل الأدبية.[1]

وبعد هذه الوقفات التي طوّفنا فيها في ديوان البيان للشاعر الدكتور محمد مصطفىٰ صوفية متأملين موقفه حيال المعلم ثناء ومدحا، ودفاعا، وتنوعا، بدت لنا بعض الملامح الشعرية منها:

إيمانه العالي بشرف مهنة المعلم، وتوقيره لأهل العلم.

دعوته للاهتمام بالمعلم وشؤونه، ودفاعه عنه.

استخدام الشاعر الأسلوب التهكمي في بعض مواضع الدفاع.

استخدام الشاعر الصور البيانية بأشكالها من تشبيهات، واستعارات، وكنايات.

التنوع في الموسيقا الشعرية من بحور وزنية تقليدية مال في بعضها إلىٰ الأوزان المطربة، وكذلك التنوع في القوافي التي تعد العنصر الثاني للشعر العمودي.

أنماط موسيقية أخرىٰ يثيرها من خلال تكرار الأصوات داخل منظومة موسيقية متناغمة رائعة. (والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل)

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط6، 1980م.

2 - جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان - دار ابن حزم، ط1، 1424-2003 هـ.

3 - جواهر الأدب، السيد أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت- لبنان، لاط، لات.

4- ديوان البيان، د.محمد مصطفى بن صوفية، مجلس الثقافة العام، ليبيا، لاط، 2008م.

5 - ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، دار الجيل، بيروت، لاط، لات.

6 - ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب: د. أحمد محمد الحوفي، نهضة مصر، الفجالة- القاهرة، لاط، لات.

(1) الديوان: ص157.

7 – سنن ابن ماجه حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. بشار عوَّاد معروف، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط1، 1418هـ-1998م.

8 – الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، تحقيق: يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت–لبنان، ط1، 1423هـ- 2003م.

9 – مجاني الأدب في حدائق العرب، رزق الله بن يوسف شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت- لبنان، 1913م، لاط.